



القيم التي يجب أن يتصف بها المؤمن

(034) سورة سبأ

اللقاء الخامس من تفسير سورة المؤمنون : شرح الآيات 74-57

2024-10-12

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

وبعد: هذا لقاءنا الخامس من لقاءات سورة المؤمنون، ومع الآية السابعة والخمسين من السورة وهي قوله تعالى:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُسْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا
وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أُنْهَمُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61)

(سورة المؤمنون)

العقل أن تصل إلى الشيء بفكرك قبل أن تصل إليه بجسدك:

ذكر المولى جلّ جلاله في هذه الآيات صفات المؤمنين، وابتدأها بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُسْفِقُونَ) أي من خوف عذاب ربهم حذرون، أشفق الإنسان من الشيء، خاف منه وحذره، والخشية هي شدة الخوف، والخشية غالباً ما ترتبط بالغيب

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)

(سورة الملك)

فالأقل عقلاً هم الذين يخافون الشيء المُشاهد، يخافون العذاب الذي يشاهدونه بأعينهم، والأكثر عقلاً ووعياً وإدراكاً، هم الذين يخشون شيئاً لم يصلوا إليه بعد ولكن يعلمون أنهم قد يصلون إليه، فيحذرونه قبل الوصول إليه، لذلك قالوا: **العقل أن تصل إلى الشيء قبل أن تصل إليه**، بمعنى أن تصل إليه بفكرك قبل أن تصل إليه بجسدك، لأنه عند وصولك إلى الشيء بجسدك قد يكون الأوان قد فات، وعندها لا تنفعك هذه المعرفة بشيء، يشبه ذلك والمثل طريف: إنسان أمسك بيده شيئاً وجده في الأرض، وتأمل به أهو قنبلة أم ليست قنبلة، ثم أخذ يقلبه بين يديه فانفجر، في اللحظة التي انفجر علم أنها قنبلة لكن فات الأوان، لم ينتفع بتلك المعرفة، العاقل يتعد عنها قبل أن يصل إليها، قبل أن يمسكها بيده، فليست العبرة في أن تصل إلى خطورة الشيء عند وصولك إليه بجسدك، وإنما أن تصل إليه بعقلك قبل أن تصل إليه بجسدك، فالخشية غالباً ما ترتبط بالخوف بالغيب، بالحذر من الأشياء التي لا نراها بأعيننا **(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)** والإيمان كله هو هذه الخشية بالغيب، هو أن يخاف الإنسان ربه بالغيب قبل أن يصل إلى الشهادة، كل الناس سيصلون إلى الشهادة، حتى فرعون أكفر كفار الأرض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)

(سورة يونس)

المؤمن حاله مع الله أنه يعمل الصالحات ويخشى ألا تُتقبل منه تلك الصالحات:

فات الأوان **(إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ)** يحذرون عذاب ربهم وهم في الدنيا، لأنهم موقنون بوقوعه **(وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتَابُ رَبُّهُمْ يُؤْمِنُونَ)** يقرؤون القرآن فيصدقون ما فيه من الوعد والوعيد، والجنة والنار، فيحذرون النار ويرجون الجنة.

(وَالَّذِينَ هُمْ يَرْبِّهِمْ لَا يَبْسُكُونَ) وجهتهم خالصة لوجه الله تعالى الكريم وحده، لا يشركون بالله تعالى شركاً جلياً ولا شركاً خفياً، لا شركاً كبير ولا شركاً أصغر.

{ عن عائشة قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله } قالت

عائشة : أهم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟ قال : لا، يا بنت الصديق أو يا بنت أبي بكر، ولكنهم الذين يصومون

ويصلون وينصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات {

(رواه الترمذي)

فليس السياق سياق من يذنب، السياق سياق إحسان **(إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتَابُ رَبُّهُمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ يَرْبِّهِمْ لَا يَبْسُكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوا مِنْ الْخَيْرَاتِ، مِنْ الطَّاعَاتِ، مِنْ النِّفَاقَاتِ، مِنْ الصِّيَامِ، مِنْ الصَّلَوَاتِ، مِنْ الْعِبَادَاتِ (وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ) وفيهم وجل خوف شديد في القلب، وجل القلب شدة خوفه، اضطراب القلب، لماذا؟ (أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) لأنهم يعلمون يقيناً أن المرجع إلى الله، فيخافون أن يقفوا بين يديه وألا تُقبل أعمالهم التي فعلوها، فالمؤمن حاله مع الله أنه يعمل الصالحات، ويخشى ألا تُتقبل منه تلك الصالحات.**

ثم قال المولى بصف هؤلاء **(أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)** يسارعون من الفعل سارع، سارع تدل على المشاركة، كأن هناك سباقاً وأنت تسارع فيه، هناك غيرك معك فيه، لو قلنا أسرع يسرع وحده، بذاته، أسرع وحده قد يكون هو الراكض الوحيد فهو أسرع يسرع، أمّا يسارع أو سارع أو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)

(سورة آل عمران)

تدل على وجود جماعة، المسارعة تدل على الجماعة، فيسارعون في الخيرات وكأنهم في سباق، يتنافسون مع الآخرين فيه، وما قال يسارعون إلى الخيرات، وإنما قال يسارعون في الخيرات، فلو قال إلى الخيرات، فالخيرات خارجة عنهم، ليسوا فيها، فهي في مكان وهم يذهبون للوصول إليها، لكن عندما قال يسارعون في الخيرات فهم متلبسون في الخير، لكنهم وهم في الخير يحاولون أن يكتروا من هذا الخير وهم بداخله، فسارع فيه غير سارع إليه، **(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ)** أي هي الهدف المغفرة، والهدف الجنة، فنحن نسارع إلى الجنة، لكن ينبغي أن نسارع في الخيرات وليس إلى الخيرات، حتى نكون دائماً متلبسين بالخير، فالخير يُحيط بنا من كل جانب، فنحن مع الخير ومع أهل الخير، وفي الخير وفي العمل الصالح، ونسرع في داخل هذه البوتقة لنحصل أكبر قدر ممكن من الخيرات، **(أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)** **(وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)** كان إنساناً قال لك كاني لا أستطيع فقلت له بل أنت أهل لذلك، فقال: **(وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)** وكأنه إقراء من المولى جلّ جلاله أن من هؤلاء من هذه هي صفاتهم من خشية الله تعالى بالغيب، ومن الإيمان بالله، وتوحيده، والخوف من عدم قبول العمل، من كانت هذه صفاتهم من المسارعة في الخيرات فسيحصلون هذا السبق ويصلون إلى غايتهم في الدنيا وفي الآخرة **(وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)**.

ولمّا ذكر المولى هذه الصفات، لكأن بعض الناس يستثقلها أو يقول كيف أستطيعها، أو إنها صعبة، شاقّة على النفس، فأجاب المولى جلّ جلاله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62)

(سورة المؤمنون)

تكليف الله تعالى للإنسان دائماً ضمن الوسع:

وهذا الأمر فيه تخفيف وفيه تقرير، التقرير أن التكليف دائماً ضمن الوسع، وأنه لا ينبغي لإنسان أن يدعى أن الله كلفه فوق وسعه، فيقول مثلاً غص البصر في هذا الزمن غير ممكن، أو يقول مثلاً هذه الفتن شديدة لا أستطيع تحملها، فنقول له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

(سورة البقرة)

(وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا).

وفيه تخفيف، لعلَّ إنساناً لم يستطع لسبب أو لآخر أن يدرك ما أدركه الآخرون فنقول له (وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) فإله تعالى إن لم يُعطِكَ المؤهلات لتصل إلى ما وصل إليه فلان، فأنت مكلفٌ ضمن الوسع الذي عندك، فقال لك فلان بنى مسجد أنا لا أستطيع، فنقول له: (وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) في هذا الموطأ، بمعنى أنك أنت لم يؤتك الله مالاً فما طلب منك إنفاق المال، وهذا معنى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِيُثَبِّتَ دُونَ سَعْيِهِ مِّنْ سَعْيِهِ ۖ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُثَبِّتْهُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)

(سورة الطلاق)

تفسير للوسع بما آتاه الله تعالى، فكل إنسان آتاه الله شيئاً سبَّكَّه بناءً عليه، فلا تسأل إنسان عن إنسان آخر، أنت أسأل عن نفسك، فلان لم يبلغه من الدعوة ما بلغني (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) فلان ما عنده قدرة على القيام بالأعمال الصالحة التي أقوم بها، ضعيف، مريض، لا يكاد يستطيع النوم، (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) أنت مكلف بشيء هو غير مكلف به، فالتكليف على قدر الوسع وعلى قدر الإيتاء.

فهذه الآية نصٌ في أنَّ التكليف العامة يستطيعها الإنسان (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) وأنَّ ما عجز عن الوصول إليه لشيء خلقه الله فيه، أو لطرفي أحبط به خارج عن إرادته، فإنَّ الله لا يكلفه به، فتؤخذ من زاويتين، أمَّا أن تؤخذ من الزاوية الثالثة وهي الاحتجاج على ترك الأعمال بالنظر إلى وسع الإنسان وتقديره لوسعه هو كما يحب، فهذا شيء ما أرادته الله من الآية، وما فهمه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا صحابته، ولا سلف هذه الأمة، بمعنى أنه ينظر إلى نفسه فيجد نفسه لا يريد القيام بهذا العمل فيحتج بالآية فيقول لك: (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أنت انظر إلى التكليف لا تنظر إلى نفسك، التكليف هل هو ضمن الوسع أم ليس ضمن الوسع، يعني يسعك، تستطيعه، بإمكانك إن تفعله، وإلا لما كلفك الله تعالى به، فإن كنت عاجزاً عن فعله فأنت لست مكلفاً به أصلاً، فالقيام في الصلاة ضمن وسعنا، المشلول لا يكلفه الله بالقيام أصلاً، (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) لكن لما أنت تستطيع القيام فالتكليف ضمن وسعك أنت، لما كلفك بالزكاة أنت تستطيع أن تنفقها، لكن لما عجز الفقير عنها فهو لا يُكلف بها، وهكذا.

(وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ۖ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) وبعد ذلك بعد أن الله تعالى كلف كل نفسٍ ما تستطيعه، جعل هناك كتاباً ينطق من النطق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)

(سورة يس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۚ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)

(سورة فصلت)

فالكتاب ينطق أيضاً، ينطق أي إشارة إلى أهمية هذا الكتاب (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَتْلُوهُ بِالْحَقِّ) سُجِّلَتْ فيه أعمال الإنسان وسُجِّلَتْ فيه الحسنات والسيئات (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أي لا يظلمهم المولى جلّ جلاله، لا بإنقاص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63)

(سورة المؤمنون)

هذه الآية، (بَلْ) حرف إضراب، انتهى ما قبلها وبدأنا بمعاني جديدة، بعض المفسرين وهموا في هذه الآية، أو أولوها ففهموها على أنها متابعة لما قبلها، يعني قلوب الصالحين (فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا) أي في غفلة من هذه الأمور (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ) من النوافل (هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) لكن الصحيح أنَّ هذه الآية هي بداية لفئة جديدة من الناس (قُلُوبُهُمْ) أي قلوب المشركين، قلوب الغافلين، لأن الله تعالى لن يصف قلوب المؤمنين بالغمرة والسهو والغفلة، لم يرد ذلك في السياق القرآني أبداً، أن توصف قلوب المؤمنين بأنها في غمرة، الغمرة أن يغمرك الماء حتى لا تستطيع أن تتنفس، والتعبير هنا (قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) أي في غفلة تامة، وكأنها قد غمرتهم تلك الغفلة.

الإنسان ربما لا يأكل لأيام، وربما لا يشرب ليوم أو يومين، لكنه لا يستطيع أن لا يتنفس إلا بمقدار ما تحويه رئته من الهواء، فأكثر حاجة الإنسان لا يستطيع الفكاك عنها هو النفس، لذلك لما يكون في غمرة يُقطع نفسه فوراً لا يستطيع، ومن هنا جاء التنافس، تنافس من النفس، يتنافس المتنافسون أي يبذل كل أقصى جهده للوصول إلى الهدف، وكأنه يكاد يفقد نفسه من شدة المنافسة، يقول لك احترق نفس فلان من شدة الأمر، فالتنافس دائماً هو الشيء الذي لا يستطيع الإنسان الفكاك منه أبداً، مفتقرون إلى الطعام والشراب لكن النفس تحديداً لا يصبر الإنسان إلا دقيقة أو دقيقة ونصف أو دقيقتين، بمقدار ما في رثبه من الهواء، فإذا انتهى ما في رثبه من الهواء، فارق الدنيا، أمّا الطعام والشراب يصبر أكثر.

الإنسان عندما يغفل من كتاب الله تعالى يستمرئ المعصية ويبالغ فيها:

(بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا) هذا اسم إشارة يعود على الكتاب الذي سبق (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَتْلُوهُ بِالْحَقِّ) وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (بَلْ قُلُوبُهُمْ) قلوب المعرضين الغافلين في غفلة من هذا الكتاب، أي هم غافلون عن أنَّ أعمالهم تُحصى عليهم، وأنَّ الحسنات تُسجَّل، وأنَّ السيئات تُسجَّل، فالإنسان عندما يغفل عن هذه الحقيقة يستمرئ المعصية ويبالغ فيها، عندما يستحضر دائماً أنَّ الله يُسجِّل عليه ويحصى عليه أعماله يتمادى، اليوم سائق السيارة ما دام مستحضراً أنَّ الكاميرا تصوّر فلا يسرع، عندما يغفل عن المراقبة يتجاوز السرعة، عندما يغفل عن وجود الشرطي يقطع الطريق مخالفاً، فالإنسان يتجاوز ويعصي ويخالف عندما يغفل عن وجود الرقيب، فقال: (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا) أي هم غافلون عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، فيطنون أنهم يعملون ما يشاؤون، وأنه ليس هناك شيء مُسجَّل عليهم، فيعملون ما يريدون، (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا) من الكتاب.

(وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) أي من دون ما هم عليه من الكفر، ليس بعد الكفر ذنب، فقلوبهم قد امتلأت غفلة، فأشركوا بالله (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) كل شيء بعد الكفر هو من دون الكفر، لذلك قالوا: ليس بعد الكفر ذنب.

مثل شخص أوتى به ليقبض به حكم الإعدام لأنه قتل إنساناً، على حبل المشنقة جاءت إدارة السير وقالت توقفوا عليه مخالفة سير عشرة دنائير، مخالفة السير تذهب لكن هو سوف يُعَذَّب، لا تحتاج إلى استيفاء مخالفة السير، وهذا ما فهمه بعض المفسرين من قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُورُونَ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)

(سورة القصص)

المجرم لا يُسأل لماذا أطلقت بصرك، هو الآن مستحق للعذاب الأليم قاتل مجرم، انتهك الحرمات فلا يُسأل عن الذنوب الصغيرة، هذه تندرج تحت الكبائر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَأُونَ (64)

(سورة المؤمنون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ طَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)

(سورة هود)

قال صلى الله عليه وسلم في تعليقه على هذه الآية:

{ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلطَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُعْلِنْهُ }
(متفق عليه)

المترفون لم يردوا في كتاب الله تعالى إلا منبوذين مذمومين:

يرخي له الجبل، انتهى، أخذه واحدة، فقال: (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ) أي منعميهم، والمترفون لم يردوا في كتاب الله تعالى إلا منبوذين مذمومين، ما ورد الترف إلا قرين الذنب، ما ورد الترف إلا قرين الكفر، والعباد بالله، فأصبح مصطلحاً قرآناً أن الترف منهى عنه، الترف هو التنعم بالدنيا مع العفلة عن الآخرة، التنعم بالدنيا بالمعاصي والآثام، أمّا أن يأخذ الإنسان من الدنيا سيتنعم، كلنا منعمون بالدنيا، الماء البارد من النعيم، الآن أهلكنا في عزة نسال الله أن يفرج عنهم وأن يزيل عنهم وأن يفرج كربهم، في مناطق ليس بها ماء صالح للشرب، بارد أو غير بارد، فإذا شربت كأس ماء بارد فانت في نعيم، المسكن نعيم، أن هناك سقفاً يأويك ولو كان عشرة أمتار فهو نعيم، فنحن منعمون في الدنيا، لكن الترف مذموم، والمترفون بامرهم الله تعالى بالطاعة فيخالفون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16)

(سورة الإسراء)

فالفاسقون والمترفون قرناء، الفسق مع الترف.

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: إِنَّا كَ وَاللَّيْلَةِ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ }
(الألباني صحيح الجامع)

قال أهل العلم: إياك أن تجعل التمتع هدفاً وغاية لك، اجعل التمتع بالدنيا وسيلةً لك إلى الله، لكن أن تستهدفه وتجعله هدفاً لك في الحياة (فإنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ).

النعيم إذا استهدف بحد ذاته ينقلب إلى نعمة:

وبالمناسبة النعيم إذا استهدف بحد ذاته ينقلب بعد حين إلى نعمة، أهل علم النفس يقولون اللذة إذا استهدفت انقلبت إلى تعاسة، لأن الإنسان يكتفي منها فيريد غيرها، وهذا سبب الشذوذ في العالم الغربي والانتقال من العلاقة الإثنية، لكن التي وفق المجرى الطبيعي إلى العلاقة الثانية ثم إلى حيوانات والعباد بالله، فهم ينتقلون من دركة إلى دركة، السبب أن اللذة لا تستهدف بذاتها، الإنسان يتزوج ليحضر نفسه، لوليد صالح يدعو له، ليعثر الأرض، ليكون خيراً على الناس والآخرين، لكن ما يتزوج فقط ليحضر شهوته، أي هو لا يستهدف قضاء الشهوة، كل إنسان يقضي شهوته، لكن هو يقضيها ضمن الحلال، ضمن منظومة قيمية، أمّا الزاني والعباد بالله ينتج إلى الزنا لقضاء الشهوة فقط، كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: " أقوم إلى زوجتي وما بي من شهوة إلا رجاء ولي صالح ينفع الناس من بعدي"، فالقيم عند المؤمن أعلى من مجرد الشهوة، هذا لا يعني أنه لا يشتهي، ولا يعني أنه ينبغي أن يقضي شهوته بالحلال، لكن يعني أن المنظومة القيمية في الإسلام أكبر من مجرد قضاء الشهوة، قضاء الشهوة جزء منها، فهو لا يستهدف النعيم بذاته، بل يستهدفه ضمن منظومة قيمية (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ تَجَازُونَ) أي يرفعون أصواتهم مستغيثين بالله تعالى، رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة والجار (تَجَازُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا تَجْأَرُوا النَّوْمَ ۖ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (65)

(سورة المؤمنون)

لا ترفعوا أصواتكم، انتهى (إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ) فات الأوان، لن ينصركم الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِضُونَ (66)

(سورة المؤمنون)

يعني كانت آياتي في الدنيا تُقرأ عليكم، فكنتم ترجعون مولين عنها إذا سمعتموها كراهية لها، العقب هو مؤخر القدم، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وعائشة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قال: **وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** }

(رواه مسلم)

إذا إنسان توصاً ولم ينتبه لإسباغ الوضوء، فهذا مما يُفْسِد وضوءه فيُبطل صلاته، فحذّر النبي صلى الله عليه وسلم (**وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**) لأن الإنسان قد يغسل قدمه ولا ينتبه إلى وصول الماء إلى العقب، فالأعقاب هي مؤخر القدم، (**قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ**) في الدنيا آيات القرآن الكريم (**فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِضُونَ**) ترجعون، الإنسان عندما يمشي إلى الأمام يمشي على هُدى، يرى أمامه، لكن لَمَّا يعود إلى الخلف على أعقاب، فهذه صورة ذهنية تُشير إلى أنه سيقع ويرجع، المطلوب أن يتقدم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِضُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67)

(سورة المؤمنون)

الَسَمَرُ بعد العشاء مكروه عند أهل العلم:

(**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ**) ما هو؟ جمهور أهل التفسير على أنه الحزم، قال لأنه ورد في أكثر من آية، القرآن يفسر بعضه بعضاً، ورد استكبارهم بالحزم، وبأنهم يعتزّون بأنهم من أهل الحزم، وبأنهم سدن الكعبة، إلى غير ذلك، فيستكبرون بذلك، فيقول لهم جلّ جلاله: كنتم تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بما تزعّمونه من أنكم أهل الحزم وأنتم لستم بأهل، لأن أهل يجب أن يكونوا على تقى وخير وأنتم لستم كذلك، (**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ**) وقال بعضهم (**به**) بما سبق من الآيات التي كانت تُثلى عليهم من القرآن الكريم (**سَامِرًا تَهْجُرُونَ**) أي تتسامرون حوله ولا تقدّسونه، وتهجرونه (**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ**) بأنكم من أهل الحزم، (**سَامِرًا**) أي حالة كونكم متسامرين، والَسَمَرُ هو الجلوس بعد العشاء لأطراف الحديث

{ جذب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الَسَمَرُ بعد العشاء }

(أخرجه ابن ماجه وأحمد)

واستثنى أهل العلم من هذا السّمْ، ما يكون من مجالسة الرّجل أهله، جلس هو وزوجته هذا لا مانع منه، أو المسامرة في طلب العلم، بالحق بالخير، أمّا السّمْ بعد العشاء لغير هذين الشّيتين مكروه عند أهل العلم، **(جذب لنا)** أي نهانا رسول الله عن السّمْ بعد العشاء، فالسّمْ هو المسامرة، وهو تبادل الحديث أو الأحاديث المسائية، فأنتم كنتم تفعلون هذه الأمور استكباراً واعتزازاً بأنكم من أهل الحزم وأنتم لستم من أهله، لأنكم تشاركون بالله، والحزم لله، وتهجرون آيات القرآن الكريم متسامرين بالحديث عنه، بالحديث عن القرآن بأنه أساطير الأولين، وقال بعض أهل العلم، تتسامرون بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ساحر، مجنون به جنة، لأنّ الآيات جاءت بعد ذلك تتحدث عن القرآن، وتتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيمكن أن نقول تهجرون القرآن الكريم وآياته وأحكامه وما فيه، أو تتسامرون بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، بما تصفونه به من الأباطيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (68)

(سورة المؤمنون)

تدبر القرآن الكريم:

تدبر القرآن أن تنظر في أدياره، في عاقبته، في نهايته **(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ)** أم جاءهم ما لم يأت أسلافهم من قبلهم، فأعرضوا عنه وكذبوا به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (69)

(سورة المؤمنون)

عرفوه، عرفوا صدقه، عرفوا أمانته، ثم هم ينكرونه، وينكرون رسالته، وينكرون صدقه، وهنا عتاب من الله عز وجل للأمة التي لا تتعرف إلى رسولها، إلى سيرته، إلى شئته **(أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ)** كانوا يقولون عنه الصادق الأمين، لمّا جاءهم كذبوه، وهم يعرفون صدقه وأمانته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ الْيَقِينُ وَكَثُرَتْ لَهُمْ لِيَلْحَقَ كَارِهُِونَ (70)

(سورة المؤمنون)

والجِنَّة هي غياب العقل **(بَلْ جَاءَهُمُ الْيَقِينُ وَكَثُرَتْ لَهُمْ لِيَلْحَقَ كَارِهُِونَ)** بل حرف إضراب، أي ليس به جِنَّة حاشاه صلى الله عليه وسلم، لكنه جاءهم بالحق وهو القرآن الكريم، وأكثرهم للحق كارهون، وقلنا كثيراً إنّ الأكثرية في القرآن مذمومة، فلا تكن مع الأكثرية ولكن مع الحق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71)

(سورة المؤمنون)

يعني لو أجرى الله الأمور ودبرها على وفق ما تهواه أنفسهم لفست السماوات والأرض، الفساد هو تغير الشيء عن طبيعته، أو أن يوضع الشيء في غير موضعه، فلو أنّ الحق اتبع أهواء هؤلاء لفست السماوات والأرض.

الفساد ليس أصلاً في الخلق:

الحق أنَّ المرأة مقدَّسة لها مكانتها، وأنَّ سبيلها هو الزواج، وأنها بنتٌ تملأ البيت خيراً، أو أختٌ تكون سنداً لأهل بيتها، أو زوجةٌ تعتني بزوجها وأولادها، أو أمٌّ يُقْبَلُ أولادها رأسها، أو جدةٌ لها صدر البيت، هذا هو الحق، لكن ليس في الإسلام المرأة عشيقة، ولا وسيلةً إعلانية، لا يُسمح في الإسلام أن تُجعل المرأة وسيلةً إعلانية، توضع على المنتجات، بصيغة فاضحة لبشّري الناس المنتج، ليست هذه مكانتها، **(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)** فلما تخرج المرأة من البيت إلى العمل وهي بأبهى زينة، وتوضع لتكون في مكان ينظر إليها الرجال، أو تُسلَّع تصيح سلعة، أو تصيح عشيقة، أو يرتكب معها ما حرَّمه الله خارج الزواج، أفسدناها وأخرجناها عن طبيعتها.

الهواء ربنا عزَّ وجل خلقه نقياً، لما تُكثر من المصانع داخل المُدن تُفسيِد الهواء، هو ليس كذلك الهواء في الأصل، هو نقي لكن نحن أفسدناه بعوادم السيارات وعوادم المصانع، الماء لما يخرج من البنايع ويسيل في الأنهار، نقي عذب اشرب من حيث شئت من النهر، بأي مكانٍ انزل واشرب، لكن لما تُلقِي به القاذورات، وتسلط عليه مياه المجاري، يفسد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طَهَّرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)

(سورة الروم)

فالفساد ليس أصلاً في الخلق، الله لم يخلق شيئاً فاسداً، الله خلق كل شيء صالحاً، حتى الإنسان خلقه على الفطرة صالح، لو ترك لفطرته لَنَقِيَ على الخير، لكن أفسدوه، غيره، وضعوه في غير موضعه، فقال: **(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ)** لو أنَّ الحقَّ جَلَّ جلاله، أو لو أنَّ القرآن وهو حقٌّ من الله تعالى، أو أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وهو حقٌّ من الله، أراد أن يتبع أهواء هؤلاء، أهواءهم أن يصلوا إلى المرأة، يدعون أنهم يريدون حقوقها وحريتها، وهم يريدون حرية الوصول إليها، أهواءهم أنهم يريدون المال من الربا، أهواءهم أنهم يريدون أن تبقى ألفتهم المزعومة البشريَّة الأصنام، من أجل أن يستعبدوا الناس بها، هذه أهواء، لكن الحق لا يتبع الهوى، الحق هدى من الله وليس هوى **(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)** من المخلوقات.

(بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ) بل أتيناها بما فيه عزهم وشرفهم وهو القرآن الكريم **(بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ)** القرآن ذكركم لكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44)

(سورة الزخرف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)

(سورة الأنبياء)

القرآن فيه ذكرنا ورفعنا:

(بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ) يعني من أعجب العجب أن أتيت بشيء فيه شرفك وعزك وسؤددك ومكانتك ثم تُعرض عنه، الإنسان يُعرض عمَّا فيه دناءة وخساسة، لكن لا يُعرض عمَّا فيه رفعة، لكن هم يُعرضون عمَّا فيه رفعتهم، القرآن رفع العرب، وجعلهم في مكانٍ عليّ **(بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ)** فالقرآن فيه ذكرنا.

والمعنى الثاني **(بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ)** أي بالقرآن الذي يذكرهم، وبين لهم أحوالهم، حال المنافقين، حال الصالحين، حال الفاسدين، وحال المؤمنين، لكنهم أعرضوا عن ذكرهم ولم يمتثلوا إلى ما جاء من أوصافٍ في كتاب الله ينبغي أن يمتثلوها، ولا من أوصافٍ في كتاب الله ينبغي أن يجتنبوها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72)

(سورة المؤمنون)

أي هل طلبت أجراً من هؤلاء (خَرَجًا) أن يُخرجوا لك شيئاً من أموالهم في مقابل تلك الهداية (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) هل سألتهم مالاً؟ لَمَّا قالوا لذي القرنين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا يَا دَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ بَأْسَ الْجُوعِ وَبَأْسَ دَارِ الْمُقْسَادِ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95)

(سورة الكهف)

فالخرج هو ما يُخرجه من مالك، ومنه الخراج، خراج الأرض ما يُخرجه الأرض (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ) ما يُخرجه الله لك من الثواب العظيم خيرٌ من أموالهم كلها (فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الزَّارِقِينَ) جلّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73)

(سورة المؤمنون)

لا اعوجاج فيه وهو طريق الإسلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّوْطِ لَنُكَفِّرُنَّ (74)

(سورة المؤمنون)

التلازم وثيق بين ما يعتقدّه الإنسان وما يتحرك به:

(لَنُكَفِّرُنَّ) أي لمانلون، نكتب عن الصراط، مال عنه (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّوْطِ لَنُكَفِّرُنَّ) هذه الآية أصل في التلازم الوثيق بين ما يعتقدّه الإنسان وما يتحرك به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (1) قَدْ لِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)

(سورة الماعون)

(يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ) عقيدة (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) سلوك، هناك ترابط، دُعُ الْيَتِيمَ لا تجعل التكذيب بالدين، الترابط بين ما يعتقدّه الإنسان وما يسلكه، قال صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَانِزَتَهُ قِيلَ: وَمَا جَانِزَتُهُ يَا

رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالصَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَوَيَّ عِنْدَهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ {

(أخرجه البخاري ومسلم)

الإيمان انقلب لإكرام ضيف، فالتلازم الوثيق بين ما يؤمن به الإنسان ما يعتقد وما يقوم به (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) لا يريد أن يؤمن بالآخرة، أين المشكلة؟ (عَنِ الصَّرَاطِ لِنَاكِيُون) سيميلون عن الصراط المستقيم، يعني لن تجد إنساناً لا يؤمن بالآخرة وهو مستقيم على المنهج، يمكن أن تجد عنده أخلاق فطرية، تجد عنده أشياء تعلمها من والده، اعتاد على الصدق، لكن أن تجد عنده مسير صحيح مستقيم بمنظومة متكاملة وهو لا يؤمن بالآخرة لماذا؟! سينتقي، يقول لك هذه الأشياء تربينا عليها، أنا لا أغش الناس، وبالنسبة للعلاقة مع النساء؟ يقول لك لا دخل لها بذلك، بموافقتي وموافقته، أنا لا أغش، ولكنه يرتكب الفاحشة مع امرأة، فبعض الناس يحتاروا، يقول لك رأيت إنساناً لا يؤمن بالآخرة لكنه ملتزم معي ما غشني، نعم هو ما غشك، ولكن هل المطلوب لتنظيم الحياة أن لا يغش الإنسان أو أن لا يلقي القمامة من السيارة فقط؟! لا، المطلوب منظومة قيمية كاملة، حفظ أعراض، حفظ دماء، حفظ أموال، حفظ العقل، حفظ الدين.

هناك مقاصد كُلِّية للشريعة ينبغي أن تتوفر في هذا الإنسان، فليست القيم جزئية، بمعنى أنه يأتي بيشيء ولا يأتي بيشيء، فهذه الآلة أصل في أن الالتزام بالطريق المستقيم ناتج عن إيمان بالآخرة، فالذي لا يؤمن بالآخرة سيميل عن الطريق المستقيم، هذا القيل قد يكون شديداً، يُصبح مجرماً، يقتل، يسفك الدماء، يعتدي على الأعراض، يعتدي على الأموال، وقد يكون قليلاً، لكن أي قِيل مهما يكن قليلاً نهايته ستكون زاوية منفرجة كبيرة، أي ستكون المشكلة في النهاية كبيرة، مهما كان القِيل في بدايته قليلاً، لكنه سيكون عن الصراط ناكياً أي مائلاً، والحمد لله رب العالمين.